الصدمة وتشكّل الهوية في رواية "تعثّرتُ في عشقه"

TRAUMA AND THE FORMATION OF IDENTITY IN THE NOVEL "I STUMBLED INTO HIS LOVE"

Mubarak Olalekan BISIRIYU

مستخلص البحث (Abstract)

يقدّم هذا المقال قراءة اجتماعية مستندة إلى دراسات الصدمة للرواية "تعثرت في عشقه"، كاشفًا عن الكيفية التي تغدو بها التجربة الصدمية قوة مُشكِّلة لبناء الهوية، وتفككها، وإعادة تشكيلها. ويعتمد البحث منهجًا تحليليًا نصيًّا ذا بعد سردي، يقوم على تحليل مشاهد مفصلية في تطور الحبكة، من خلال أدوات مثل بناء الشخصية، والبنية الزمنية (الاسترجاع)، وتمثيل الفضاء، وأنماط الحوار مع توظيف إطار نظري يجمع بين دراسات الصدمة (كاروت، هيرمان، فان دير كولك)، ودراسات الجندر (كونيل). يسلّط المقال الضوء على قيم الكرامة الإنسانية، وحرمة الجسد، والستر، والأمان، وضبط الغضب بوصفها أطرًا أخلاقية تفاوض الرواية من خلالها إمكانات التعافي. ويركّز التحليل على شخصيتي سالي وآدم، متتبعًا أثر العنف والفقد والإذلال الرمزي في مسارات النفسية. وتُقرأ محاولة اختطاف سالي في فضاء المول بوصفها لحظة صدمية تُعيد تنشيط الذاكرة الجسدية، حيث يتحول الجسد إلى حامل للألم، بينما يكشف الفضاء الحداثي بوصفه هشًّا أمام العنف البنيوي ضد المرأة. كما يُحلَّل رفض سالي قبول الدعم المادي باعتباره استراتيجية دفاعية أخلاقية تقاوم منطق الهيمنة المقنّعة بالإحسان، في مقابل سلوك آدم الذي يكشف عن توتر بين السلطة الأبوية والرغبة في التعويض. ويُظهر البحث، عبر تحليل مشهد المواجهة العنيفة، تحوّل آدم من موقع السيطرة إلى ما يمكن تسميته بـ"العنف الحمائي"، بوصفه محاولة إصلاح متأخرة لخلل أخلاقي سابق. كما يُبرز مشهد

التوقّف عند البحر وظيفة الفضاء الطبيعي كحيّز تأملي يعبّر عن صراع سالي بين الرغبة في القرب والخوف من التعلّق، في ضوء أنماط التعلّق القلِق–المتجنّب. وفي فضاء المشفى، يتبلور تحوّل آدم نحو نموذج للرعاية الصامتة، قائم على الحضور والاحترام، دون فرض أو وصاية، بما يعيد تعريف العلاقة الجندرية ضمن أفق أخلاقي بديل. ويخلص البحث إلى أن العلاقة العاطفية بين سالي وآدم لا تُقدَّم بوصفها نهاية رومانسية تبسيطية، بل كتجربة تصحيحية مشروطة بالاعتراف وتحمل المسؤولية وإعادة بناء الثقة. ومن ثمّ، تسهم الرواية في بلورة تصور للتعافي لا يقوم على محو الصدمة، بل على إدماجها ضمن هوية معاد تشكيلها وقادرة على الاختيار الأخلاقي.

الكلمات المفتاحية: *الصدمة، تشكيل الهوية، الرواية العربية، الجنس والذكورة، فعالية المرأة.*

Abstract

This article offers a social and trauma-informed reading of the novel Taʿathartu fī ʿIshqih examining how traumatic experience functions as a formative force in the construction, fragmentation, and reconstitution of identity. The research adopts a textual analytical approach with a narrative dimension, examining key scenes in the development of the plot through tools such as character construction, temporal structure (flashback), spatial representation, and dialogue patterns. It is grounded in a theoretical framework that integrates trauma studies (Caruth, Herman, Van der Kolk), and gender studies (Connell). The analysis focuses on the two central characters, Sally and Adam, tracing the impact of violence, loss, and symbolic humiliation on their psychological

and ethical trajectories. Sally's attempted abduction in a shopping mall is interpreted as a traumatic moment that reactivates bodily memory, where the body becomes a carrier of pain, while the modern space is exposed as fragile in the face of structural violence against women. Sally's refusal to accept material support is further read as an ethical defensive strategy resisting forms of dominance disguised as benevolence, in contrast to Adam's behavior, which reveals tension between patriarchal authority and a desire for moral compensation. Through the analysis of the violent confrontation scene, the study highlights Adam's transformation from a position of control to what may be termed "protective violence," understood as a delayed attempt to redress a prior ethical failure. The seaside scene is also examined as a reflective spatial setting that expresses Sally's internal conflict between the desire for intimacy and the fear of attachment, in line with anxious-avoidant attachment patterns. In the hospital setting, Adam's transformation toward a model of silent care emerges, grounded in presence and respect rather than control, thereby reconfiguring gender relations within an alternative ethical framework. The study concludes that the emotional relationship between Sally and Adam is not presented as a simplistic romantic resolution, but rather as a corrective emotional experience conditioned by recognition, responsibility, and the gradual rebuilding of trust. Accordingly, the novel contributes to articulating a conception of recovery that does not erase trauma, but integrates it into a reconstructed identity capable of ethical agency.

Keywords: Trauma; Identity Formation; Arabic Novel; Gender and Masculinity; Female Agency

1 . المقدمة

شهدت الدراسات الأدبية المعاصرة تحوّلًا ملحوظًا نحو مقاربة النصوص السردية من خلال عدسات متعددة التخصصات، حيث لم يعد الأدب يُقرأ بوصفه بنية جمالية مغلقة، بل باعتباره فضاءً يكشف تعقيدات التجربة الإنسانية، خاصة في سياقات العنف والصدمة والتحولات الاجتماعية . وفي هذا الإطار، برزت دراسات الصدمة بوصفها أحد أهم الحقول النقدية التي تسعى إلى فهم كيفية تمثيل الألم، والذاكرة، والانكسار النفسي داخل السرد، وكيف تُسهم هذه التمثيلات في إعادة تشكيل الهوية الفردية والجماعية .
تنطلق هذه الدراسة من فرضية مفادها أن الصدمة في الرواية العربية المعاصرة لم تعد حدثًا عابرًا أو خلفية درامية، بل غدت بنية مركزية تُنظِّم التجربة السردية وتعيد تشكيل علاقات الذات بالآخر وبالعالم . ومن هنا، تأتي أهمية قراءة رواية ″تعثرت في عشقه″ بوصفها نصًا يُجسِّد تداخل الصدمة مع قضايا الجندر ، حيث تتقاطع تجربة العنف والفقد مع أسئلة الكرامة، والستر، والسلطة، وإمكانات التعافي .

تعتمد الدراسة منهجًا تحليليًا نصيًّا ذا بعد سردي، يستهدف تفكيك تمثيلات الصدمة من خلال تحليل مشاهد مفصلية في النص، مع التركيز على عناصر مثل بناء الشخصية، والبنية الزمنية، وتمثيل الفضاء، وأنماط الحوار . كما تستند إلى إطار نظري يجمع بين دراسات الصدمة، والجندر ، بما يتيح قراءة متعددة الأبعاد تكشف البنية العميقة للعلاقات النفسية والاجتماعية داخل الرواية . وتتمحور إشكالية البحث حول التساؤل الآتي: كيف تُعيد الصدمة تشكيل هوية الشخصيات داخل الرواية؟ وكيف تتقاطع هذه العملية مع أنماط السلطة الجندرية ؟ وهل يقدّم النص تصورًا للتعافي يتجاوز المعالجة الرومانسية التقليدية نحو أفق أكثر تعقيدًا ومسؤولية؟

تسعى هذه الدراسة، من خلال تحليل مسار الشخصيتين الرئيسيتين (سالي وآدم)، إلى الكشف عن الكيفية التي يتحول بها الألم إلى مورد تأويلي يُعيد صياغة العلاقة بين الذات والآخر، وإلى إبراز دور السرد في مساءلة أنماط الهيمنة، وإعادة تخيّل إمكانات الرعاية والاعتراف. كما تهدف إلى بيان أن التعافي، كما تصوّره الرواية، لا يتحقق عبر محو الذاكرة الصدمية، بل عبر إدماجها ضمن هوية جديدة قادرة على الفعل والاختيار.

وبذلك، يطمح هذا البحث إلى الإسهام في تطوير المقاربات النقدية التي تعالج تداخل الأدب مع قضايا الصدمة والجندر، وإلى تعزيز فهم أعمق لدور السرد العربي المعاصر في تمثيل التحولات النفسية والاجتماعية في عالم تتزايد فيه أشكال الهشاشة والعنف. فبرغم وفرة الأبحاث التي تناولت تمثيلات الصدمة والعنف الجندري في الرواية العربية، ما تزال المقاربات التي تستكشف مفاهيم دراسات الصدمة، ودراسات الجنس والذكورة فى روايات العربية محدودة. وعليه، تسعى هذه الدراسة إلى سدّ هذه الفجوة عبر بيان كيف تكشف "رواية تعثّرتُ في عشقه" اختلال العنف داخل المجتمع.

2. الدراسات السابقة

تناولت مجموعة من الدراسات تمثيلات الصدمة والعنف والذات المجروحة في الرواية المعاصرة من زوايا متعددة. من بينها، دراسة (2026) Bisiriyu التي ركّزت على تحليل البنية النفسية لشخصية مريم بوصفها ذاتًا مصدومة، مستندة إلى نظريات الصدمة الحديثة، ومبينةً أن التعافي في النص الروائي يُبنى تدريجيًا عبر الاعتراف بالألم، والدعم العلائقي، وإعادة تشكيل الإحساس بالأمان والمعنى .وتُعد هذه الدراسة مرجعًا مهمًا في فهم كيفية تمثيل الصدمة الأنثوية داخل سياقات اجتماعية قمعية. كما تُسهم دراسة Bisiriyu and Akewula (2025)، في تقديم إطار تحليلي قائم على التحليل النفسي الفرويدي لشخصية يحيى،

حيث تكشف عن أبعاد اللاوعي، والكبت، وعودة المكبوت في تشكيل التجربة الصدمية داخل النص الروائي .وتبرز هذه الدراسة أهمية القراءة الفرويدية في تفكيك البنى النفسية العميقة للشخصيات، خاصة في ما يتعلق بالهلوسة، واللاوعي، والتشظي النفسي. فقد ركّزت دراسة صبري حافظ (2001) حول تحولات السرد العربي الحديث على الكيفية التي أصبحت بها الذات السردية محمولة على وعي مأزوم يتشكّل تحت ضغط القمع السياسي والاجتماعي، حيث تتحول الذاكرة إلى فضاء مركزي لإعادة كتابة الألم. كما ناقشت فاطمة المرنيسي (1994) البنية الأبوية بوصفها نظامًا ثقافيًا يعيد إنتاج الهيمنة عبر ضبط الجسد الأنثوي وتنظيم الرغبة، وهو ما يوفّر مدخلًا مهمًا لفهم الخلفيات الاجتماعية للعنف الجندري في السرديات الروائية.

وفي مجال تحليل العنف الأسري وتمثلاته الأدبية، تشير دراسات مثل دراسة حسن المودن (2010) حول الجسد والسلطة في الرواية العربية إلى أن الجسد الأنثوي غالبًا ما يُقدَّم بوصفه موقعًا لصراعات رمزية تعكس اختلال موازين القوة داخل الأسرة والمجتمع. كما يذهب عبد الله الغذامي (2005) في مشروعه حول النقد الثقافي إلى أن النصوص السردية العربية تكشف عن أنساق مضمرة من الذكورية المهيمنة، حتى عندما تتخفى خلف خطاب أخلاقي أو ديني ظاهري.

من جهة أخرى، تناولت بحوث حول الرواية النسائية العربية - مثل دراسة يمنى العيد (2003) - تحولات تمثيل الذات الأنثوية من موقع الضحية الصامتة إلى ذات واعية تسعى إلى مساءلة البنى القامعة وإعادة تعريف علاقتها بالجسد والحب والسلطة. وتبيّن هذه الدراسات أن السرد الرومانسي لم يعد محصورًا في تمجيد العاطفة، بل أصبح حقلًا لكشف العنف البنيوي وتجليات الصدمة النفسية.

وعلى الرغم من هذا التراكم البحثي، تظل المقاربات التي تجمع بين نظرية الصدمة وتحليل الرواية الرومانسية محدودة. ومن هنا تأتي أهمية هذه المقالة في اقتراح قراءة تربط بين الصدمة والجندر ، بما يسمح بفهم أكثر تركيبًا لتمثيلات المعاناة والهوية والحب في رواية تعثّرتُ في عشقه. وانطلاقًا من هذه الخلفية، تسعى هذه المقالة إلى بلورة مقاربة تكاملية تقرأ رواية "تعثّرتُ في عشقه" بوصفها فضاءً تفاعليًا تتقاطع فيه نظرية الصدمة، وتحليل الجنس، بما يتيح فهماً أعمق لكيفيات تشكّل الهوية عبر المعاناة، وكيف يمكن للحب أن يُعاد تصوره بوصفه ممارسة أخلاقية ومسؤولية إنسانية، لا مجرد مثال رومانسي مثالي.

3. الإطار النظري

تعتمد هذه الدراسة إطارًا متعدد التخصصات يجمع بين نظرية الصدمة، ودراسات الجنس والذكورة. يسمح هذا النهج الثنائي بقراءة دقيقة لرواية تعثرت في عشقه كسرد تتشابك فيه التمزقات النفسية وعلاقات السلطة الاجتماعية بشكل عميق. بدلاً من تفضيل عدسة نظرية واحدة، تعمل المقالة على افتراض أن الصدمة والهوية هي عمليات تشكل بعضها البعض ويجب قراءتها في علاقة ببعضها.

3.1 نظرية الصدمة والتجسيد السردي

تنظر نظرية الصدمة إلى الصدمة النفسية بوصفها تجربة تتجاوز قدرة الذات على استيعابها ودمجها داخل منظومة الذاكرة الواعية. إذ ترى كاثي كاروث (1996) أن الصدمة لا تُعاش بصورة مكتملة في لحظة وقوعها، بل تعاود الظهور لاحقًا عبر أشكال متكررة من الذكريات الاقتحامية، والاسترجاعات القهرية، والتشظي السردي. وعلى المستوى الأدبي، يتجسد هذا الطابع المتأخر وغير المستقر للصدمة من خلال بنى زمنية متكسرة،

وتكرار الصور، وعجز الشخصيات عن صياغة خبراتها المؤلمة في خطاب متماسك.

وتؤكد جوديث هيرمان (1992) أن الصدمة ذات طبيعة علائقية في جوهرها؛ فهي لا تقوض إحساس الفرد بذاته فحسب، بل تهز أيضًا ثقته بالآخرين وبالعالم المحيط. ومن ثمّ، لا يُختزل التعافي في فعل داخلي فردي، بل يتأسس على استعادة الشعور بالأمان، وإتاحة إمكانية السرد، وبناء علاقات داعمة. يكتسب هذا المنظور أهمية خاصة عند قراءة رواية نوال نعيم، حيث ترتبط مسارات تعافي الشخصيات النسائية ارتباطًا وثيقًا بظهور علاقات تتسم بالحماية والمسؤولية الأخلاقية.

ويعمّق بيسل فان دير كولك (2014) هذا الفهم من خلال إبراز الجسد بوصفه مستودعًا مركزيًا لذاكرة الصدمة. فالصدمة، وفقًا له، لا تُخزَّن إدراكيًا فحسب، بل تُسجَّل كذلك على مستوى الجسد عبر استجابات مثل التجميد، والانفصال، ونوبات الذعر. وتجد هذه الرؤية صداها في تعثّرتُ في عشقه، حيث يتكرر صمت البطلة، وانسحابها، وانهيارها الجسدي بوصفها تجليات ملموسة لحالات الضيق الطاغي.

وبناءً عليه، تُوظَّف نظرية الصدمة في هذه الدراسة ليس بغرض تشخيص الشخصيات طبيًا، وإنما للكشف عن الكيفية التي يشفر بها السرد خبرات المعاناة والذاكرة والبقاء. ويظل التركيز منصبًا على التمثيل النصي للصدمة وآليات اشتغالها السردي، لا على توصيفها بوصفها اضطرابًا نفسيًا.

3.2 الجنس والذكورة والسلطة

تُتيح دراسات الجنس والذكورة إطارًا تحليليًا أساسيًا لفهم الكيفية التي تُوزَّع بها الصدمة وتُعاش بطرائق مختلفة لدى الشخصيات الذكورية والأنثوية. ويشير مفهوم ر. و. كونيل (2005) للذكورة المهيمنة إلى نموذج ثقافي

سائد للرجولة يقوم على السلطة، وكبح العاطفة، وإضفاء الشرعية على تفوق الرجل وهيمنته على المكرأة. ويتجسد هذا النموذج في الرواية من خلال شخصيات تساوي بين الرجولة والسيطرة والاستحقاق، وغالبًا ما تتوسل العنف بوصفه أداة لتأكيد الهيمنة وترسيخ النفوذ.

أما على مستوى الشخصيات النسائية، فيعمل الجنس بوصفه بنية تحدد أشكال الهشاشة وتعيد إنتاجها. فتصبح أجساد النساء فضاءات تُسقَط عليها الهواجس الاجتماعية المرتبطة بالشرف، والنقاء، والضبط (Oladosu, 2009). ومع ذلك، لا تكتفي الرواية بإعادة إنتاج صورة المرأة بوصفها ضحية سلبية؛ بل تبرز مساحات للمقاومة والفاعلية، حيث تمارس الشخصيات النسائية الكلام والكتابة والدفاع عن الذات بوصفها استراتيجيات لإثبات الوكالة والمشاركة في إعادة صياغة هوياتهن.

4 الإطار المنهجي

يعتمد هذا البحث منهجًا تحليليًا نصيًّا ذا بعد سردي، يقوم على مقاربة الرواية بوصفها بنية دلالية تتشكل فيها المعاني النفسية والاجتماعية والأخلاقية من خلال تقنيات السرد. ويرتكز هذا المنهج على القراءة الدقيقة (Close Reading) للنص، بما يتيح الكشف عن تمثيلات الصدمة وآليات اشتغالها داخل البنية الحكائية، دون فرض إطار نظري خارجي بقدر ما يُستثمر كأداة تفسيرية تنبثق من معطيات النص ذاته. وفي هذا السياق، يوظّف البحث مقاربات من دراسات الصدمة، وعلم الاجتماع النسوي، ونظرية التعلّق، بوصفها عدسات تحليلية مساندة.

يقوم اختيار العيّنة التحليلية على انتقاء مشاهد سردية مفصلية في تطور الحبكة، وفق ثلاثة معايير رئيسة: (1) المركزية السردية، أي المشاهد التي تمثل نقاط تحوّل في مسار الأحداث أو العلاقات؛ (2) الكثافة الصدمية، حيث تتجلى لحظات العنف أو الفقد أو الانكسار النفسي؛ (3)

الوظيفة التحولية، أي المشاهد التي تكشف عن تغيّر في هوية الشخصيات أو وعيها الأخلاقي. وبناءً على ذلك، تم التركيز على مشاهد مثل محاولة الاختطاف، والمواجهة العنيفة، والعودة إلى بيت الطفولة، والمشفى، ومشهد المصالحة، بوصفها وحدات تحليلية تُستنبط منها أنماط سردية أوسع.

ويستند التحليل إلى مجموعة من أدوات التحليل السردي، من أبرزها: بناء الشخصية، والبنية الزمنية (خصوصًا الاسترجاع والتقطيع الزمني)، وتمثيل الفضاء، وأنماط الحوار والصمت. ويُعنى البحث بكيفية توظيف هذه التقنيات في تمثيل الصدمة، سواء عبر تفكك الزمن، أو تجسيد الألم في الجسد، أو التوتر في الصوت السردي.

أما فيما يتعلق بضوابط التوثيق والاقتباس، فيتم إدراج الشواهد النصية بلغتها الأصلية، مع الإشارة داخل المتن إلى اسم المؤلف، وسنة النشر، ورقم الصفحة. وتُدمج الاقتباسات القصيرة ضمن السياق التحليلي، في حين تُورد المقاطع الأطول بشكل انتقائي لدعم الحجج الرئيسة. كما تُستخدم علامات الحذف (...) للدلالة على اختصار النص دون الإخلال بالمعنى، ولا يُضاف أي تأكيد إلا لضرورة تحليلية واضحة.

وعلى الرغم من أهمية هذا الإطار، فإن للدراسة بعض الحدود المنهجية؛ إذ تقتصر على تحليل نص روائي واحد، مما قد يحدّ من تعميم النتائج. كما أن التركيز على مشاهد محددة دون تحليل شامل لكامل النص قد يُغفل بعض الأنماط الثانوية. إضافة إلى ذلك، تظل طبيعة التحليل التأويلي مفتوحة على قراءات بديلة، خاصة في ظل توظيف مقاربات نظرية متعددة.

وعليه، يسعى هذا الإطار المنهجي إلى تحقيق توازن بين الدقة التحليلية والانفتاح التأويلي، بما يتيح فهمًا أعمق لتمثيلات الصدمة وتحولاتها داخل السرد الروائي.

5.0 تحليل الرواية

5.1 الصدمة والجسد الأنثوي

يشكل تمثيل الجسد الأنثوي في "تعثرت في عشقه" واحدة من أكثر الاستراتيجيات السردية قوة للتعبير عن الصدمة. الجسد ليس مجرد كيان جسدي بل موقع رمزي تتلاقى فيه العنف، والذكريات، والمقاومة. من خلال مشاهد الإساءة المنزلية، ومحاولات الاختطاف، والتدهور العاطفي، تكشف الرواية كيف تصبح أجساد النساء أهدافًا للسيطرة الأبوية. في الوقت نفسه، تسلط الرواية الضوء على قدرة النساء على البقاء، والمقاومة، واستعادة سلطتهن. يفتتح النص بصورة سالي المختبئة في الخزانة، وهي صورة ذات كثافة رمزية عالية كما في المقطع التالي:

> في خزانتها تجلس كطفلة صغيرة تهرب من عقاب والديها العسير .أغمضت تلك العيون الواسعة السوداء كعتمة الظلام، أخرجت تنهيدة طويلة تحمل الكثير من الألم.... لم تعرف كيف وُضعت في وسط حلقة مليئة بالذئاب، مليئة بوحوش يتطاير من أعينهم الغدر والخيانة ... كل يوم تكبر كوردة جورية، كلما تفتحت أكثر كلما برزت وازدادت جمالاً لكنها لم تكن محاطة بالأشواك كمثيلاتها... (نوال، 2025: 3)

فالخزانة لا تمثل مجرد مكان مادي، بل رمزًا للانسحاب القسري من المجال الاجتماعي، حيث تتحول الطفولة من فضاء أمان إلى مساحة خوف دائم. تنسجم هذه الرؤية مع تحليل غالتونغ للعنف البنيوي، حيث لا يُمارَس العنف فقط عبر الأفعال المباشرة، بل أيضًا عبر غياب الحماية المؤسسية للفئات الهشة. يتجسد هذا العنف البنيوي بوضوح في شخصية محمد، الذي لا يرى في سالي ابنة، بل وسيلة لتسوية دين، أي سلعة قابلة

للمقايضة. وهنا تبلغ عملية التشييء ذروتها، إذ تتحول الأنثى إلى أداة اقتصادية.

> في البيت ووالدتها تصرخ وأبوها يحاول تهدئتها... مالذى تريده يا محمد دينك سددته. رفع محمد المسدس في وجه والد سالي ورد بعجرفة – أنت متأكد جدًا ماذا عن الدين الآخر؟... تسديد الدين سيكون ابنتك... (نوال، 2025: 5)

تمثّل شخصية محمد أحد أخطر أنماط السلطة في الرواية؛ فهو لا يمارس العنف بوصفه انفعالا لحظيًا، بل كجزء من بنية سلطوية ممنهجة، تُسخّر الأبوة لتحقيق مصالح شخصية وإجرامية. في هذا السياق، تنهار الولاية الأخلاقية التي يفترض أن تقوم على الرعاية والحماية، وتتحول إلى طغيان مطلق. يصل الأمر إلى التورط في قتل الوالدين الحقيقيين لسالي، ثم إعادة إنتاج العنف عبر تزويجها قسرًا لسليم ابن محمد.

> دون سابق إنذار فجر رأس عادل بالمسدس أمام زوجته وابنته صرخوا من الصدمة... أمسكها محمد من يدها تحت صدمتها وفجر رأس أمها بالمسدس أمامها، ظلت واقفة والدموع متحجرة في عينيها... تموت الطفلة البريئة... أمسك يدها بقوة وأخذها معه لسيارته، لم تتعرض ولم تتمرد لم تحرك ساكنًا كأن إعصارًا مر من حياتها... اليوم سيكون زواجك من ابني سليم (نوال، 2025: 6-10)

يُقدَّم مشهد قتل والدي سالي بوصفه فعلًا استعراضيًا يرمي إلى زرع الرعب وتفكيك الروابط العاطفية، لا مجرد تصفية جسدية. ويؤدي هذا المشهد إلى قطع جذري لسلسلة الحماية الاجتماعية وتحويل الطفلة إلى

كائن بلا جذور، بما ينسجم مع مفهوم كاثي كارث حول "الصدمة غير القابلة للتمثيل"، حيث يعجز الوعي عن استيعاب الحدث فيُخزَّن ككسر داخلي طويل الأمد. وهنا "تموت الطفلة البريئة"، ليس مجازًا، بل سوسيولوجيًا. يُجسّد قتل الوالدين انتهاكًا صارخًا لحرمة النفس التي جعلها الإسلام من أعظم المقاصد .يقول الله تعالى: "من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا" (المائدة: 32) .

فالقتل في النص ليس فقط جريمة فردية، بل فعل يُحدث انهيارًا أخلاقيًا شاملاً، ويتقاطع مع هذا المعنى الكلي في الآية .كما يؤكد الحديث النبوي "لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم" (رواه الترمذي) . وهو ما يعكس جسامة الجريمة المرتكبة، ويُبرز التناقض الحاد بين الفعل السردي والقيمة الإسلامية.

وصف الرواية لتجمّد الدموع وتوقف الإدراك يتوافق مع توصيف الصدمة النفسية في علم الاجتماع السريري منه، غياب المقاومة وفقدان الإحساس بالجسد والامتثال القسري. الصدمة هنا ليست نفسية فقط، بل اجتماعية–هوياتية؛ إذ تُنتزع سالي من موقع "الابنة" وتُلقى مباشرة في موقع "الملكية" . هذا ما تسميه كاثي كارث بـالصدمة غير القابلة للتمثيل. يمثل اختطاف سالي وإجبارها على الزواج تعدّيًا على كرامتها وحقها في الاختيار، وهو ما يتنافى مع قوله تعالى: "يا أيّها الذين آمنوا لا يحلّ لكم أن ترثوا النساء كرها" (النساء: 19) .

فالآية تنفي صراحة أي شكل من أشكال الإكراه في علاقة الزواج .كما يؤكد النبي: ﷺ "لا تُنكَح الأيِّم حتى تُستأمر، ولا تُنكح البكر حتى تُستأذن" (متفق عليه) . مما يجعل تحويل المرأة إلى وسيلة لسداد الدين انتهاكًا صريحًا للمنظور الإسلامي الذي يكرّس الرضا أساسًا للعلاقة.

وإذا كان محمد يمثل الطغيان الأبوي، فإن سليم يجسّد نموذج الرجولة القهرية التي تُختزل فيها العلاقة الزوجية إلى علاقة سيطرة وإخضاع. فالعنف الذي يمارسه ليس حادثًا فرديًا، بل امتداد لبنية سلطوية متوارثة، ما يكشف آلية توريث العنف من جيل إلى آخر. ويُستخدم الجسد الأنثوي مجالًا لتفريغ العنف حتى كسر عظم رسغها وأسرعت بها ليلى إلى المستشفى.

> صباح الخير يا عروسة...نظرت له بكل حقد...أثارت غضبه بشدة...أخذ يجرها نحو المخزن القديم وألقي بها هناك... أغلق الباب... أصبح يعاملها بكل قسوة في كل يوم... دخلت الخادمة ليلي...فزعت بشدة عندما رأت صديقتها ملقات على الأرض وغارقة فى الدماء... اتصلت بالدكتوره ...وكانت طبيبه عندهم... وأخبرت ليلى بأن حالتها خطيرة ولديها كسور يجب أن نأخذها للمشفى ... (نوال، 2025: 13-14)

سلوك سليم (الضرب، الإكراه، الإذلال) يمثّل نموذجًا مشوّهًا للقوامة، التي تقوم في الإسلام على الرعاية لا القهر: "وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ" (النساء: 19) . وكما يقول النبي ﷺ: "خيركم خيركم لأهله" (رواه الترمذي) . فالعنف هنا ليس فقط انحرافًا فرديًا، بل انهيار لوظيفة الولاية وتحولها إلى أداة استبداد.

في هذا السياق، لا تُقدَّم مأساة سالي باعتبارها قصة استثنائية، بل بوصفها نموذجًا سرديًا مكثفًا لخبرة اجتماعية أوسع تعانيها النساء داخل منظومات غير متكافئة للقوة. لم يعد العنف محصورًا في إطار الأسرة أو الزواج القسري (سليم/سالي)، بل انتقل إلى مستوى العنف المنظّم المرتبط بالصراع على السلطة والنفوذ. أن العنف الممارس ضد المرأة ليس نتيجة

انحراف فردي عابر، بل هو نتاج بنية اجتماعية أبوية تتداخل فيها السلطة الذكورية، والمال، والسلاح، والصمت الجمعي. وتنسجم هذه الرؤية مع ما يطرحه Bourdieu (2001) حول "العنف الرمزي" بوصفه عنفًا ناعمًا يتغلغل في العلاقات اليومية ويُشرعن القهر دون الحاجة إلى القوة المادية المباشرة.

يتسع أفق الرواية لاحقًا من مأساة فردية إلى نقد اجتماعي أشمل عبر مشهد محاولة قتل رغد على يد شخص ملثم بلا هوية واضحة. فالملثم هنا يمثل ما يسميه زيغمونت باومان بـ"العنف المجهول"، حيث يتحول الفاعل إلى أداة داخل منظومة، لا إلى ذات أخلاقية مسؤولة. وبذلك، تنتقل الرواية من تصوير معاناة فردية إلى مساءلة منظومة اجتماعية كاملة تُنتج العنف وتعيد تدويره:

> في المستشفى أخذوا سالى لغرفة وأحاطوها بالأجهزة...بجانبها فتاة...جاءت منذ مدة لأنها تعرضت لحادث السيارة اسمها رغد... في فجر اليوم التالي... شعرت رغد بحركة غريبة في الغرفة...رأت شخصا ملثم يرتدي لباسا أسود... ماذا تريد... لم تكمل كلمتها وبدأ يحاول خنقها بيده بقوة وهي تصرخ... عند سالي...سمعت صوتا بجانبها يصرخ... لم تصدق عينها عقلها... كل ما يهمها هو انقاذ هذه الفتاة... لم تجد سوى مقص... وهي تغرسه فى ظهره تأوه الملثم من شدة الألم التفت لها وحاول أن يخنقها... حولت تخلص منه لكنها أقوى منها...رغد...لاتعلم كيف ستساعد... حاولت ضرب الشخص لكن قدماها لاتساعدانها... (نوال، 2025: 15-18)

مشهد محاولة قتل رغد من طرف "الملثّم" يمثّل نقلة نوعية في بنية العنف داخل الرواية. الملثّم هنا بلا اسم وبلا ملامح وبلا هوية واضحة ينسجم مع مفهوم "العنف المجهول" الذي تناوله Bauman (2000). وبهذا، توسّع الرواية أفقها من مأساة فردية إلى نقد اجتماعي للمنظومة التي تنتج هذا العنف وتعيد تدويره. محاولة سالي إنقاذ رغد تمثل فعلًا أخلاقيًا متقدمًا ينسجم مع مبدأ نصرة المظلوم، كما في الحديث: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال: رجل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنصره إذ كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟! قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره. (رواه البخاري).

كما يتقاطع فعلها مع مبدأ دفع الاعتداء، في قوله تعالى: "فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ" (البقرة: 194)، بما يشرعن الدفاع عن النفس والغير في حدود ردّ الاعتداء.

تُقدَّم شخصية رغد، رغم إعاقتها الجسدية، بوصفها ذاتًا أخلاقية فاعلة لا تُختزل في حدود الجسد. فمحاولتها أيضا لإنقاذ سالي، وصراخها، وسعيها للاستغاثة، تكشف عن فصل حاسم بين القدرة الجسدية والقدرة الأخلاقية؛ إذ لا يعني العجز الجسدي عجزًا اجتماعيًا أو أخلاقيًا. ويتقاطع هذا التمثيل مع أطروحات Nussbaum (2016) حول الكرامة الإنسانية، حيث تُعرَّف القيمة الإنسانية خارج منطق الإنتاجية أو القوة الجسدية. وبذلك، تعيد الرواية تفكيك الصورة النمطية للمرأة "الضعيفة" أو "العاجزة"، وتُعيد بناءها بوصفها مركزًا للفعل القيمي والمبادرة الأخلاقية.

> فجأة سمعوا خطوات شخص يركض من هناك.؟ سمع الملثم ذلك و تسلل من النافذة هاربا و هو يتوعد لرغد و سالي. دخل رجل يلبس لباسا رسمي أسود و يضع نظارات و سماعات اذن ذهب لرغد بفزع ما الذي

جرى ؟؟!! اسرعت رغد بسرعة يا سيف ساعدها ارجوك !! ذهب سيف ناحيتها ليساعدها... ونادى الممرضة اعتنت بها جيدا. (نوال، 2025: 18)

شخصية سيف تمثل تحوّلا مهمًا في تمثيل الذكورة داخل الرواية. وهو لا يمارس السيطرة ولا يستغل ضعف النساء ولا يتحدث من موقع السلطة بل يؤدي دور الوسيط الحامي. حبه لرغد مكبوت أخلاقيًا، وهو كبت نابع من احترام الحدود وإدراك اختلال ميزان القوة. وهو ما يضعه ضمن ما تسميه الدراسات الجندرية بـالذكورة البديلة (Connell, 2005)، التي ترفض الهيمنة وتُعيد تعريف الرجولة بوصفها حماية لا سيطرة ومسؤولية لا امتلاكًا.

ويتجلى هذا البعد في المشهد الذي ينسحب فيه الملثم بعد سماع خطوات تقترب من المكان، ثم دخول سيف الذي يهرع إلى رغد ويسعى لإنقاذ سالي واستدعاء الممرضة. فالرواية لا تجعل رغد مجرد متلقية للإنقاذ، بل فاعلة في إطلاق سلسلة النجاة ذاتها. وبهذا، تبرز صورة الذكورة الأخلاقية في مقابل الذكورة العنيفة التي يمثلها سليم. وجود سيف في الرواية ليس ثانويًا، بل ضروري لتأكيد أن العنف الذكوري ليس قدرًا حتميًا، بل خيارًا اجتماعيًا يمكن تفكيكه واستبداله بنماذج أكثر إنسانية.

5.2 آدم بوصفه ذاتًا مشروخة وهوية قَلِقَة

تصل أخبار محاولة قتل سالي إلى آدم عبر سيف، فتدفعه إلى العودة السريعة من الخارج. غير أن هذه العودة لا تُقدَّم بوصفها عودة بطل جاهز، بل عودة ذات مشروخة تحكمها صدمات قديمة:

وأخرج هاتفه ليتصل على آدم و يخبره بالجديد... كان آدم قد خرج للتو من طائرته الخاصة... معظم وقته

في أمريكا يدير شركاته هناك، لكن حادث اخته هو من أرجعه للوطن من جديد... أيقظه من تفكيره رنين هاتفه رفعه ليرى المتصل فكان سيف... لقد ارسلو لها ملثم لقتلها... سيف انا سآتي حالا و هؤلاء الوحوش لن أتركهم سأنتقم لأختي يا سيف لن أتركهم أتفهم... ركب السيارة و انطلق مباشرة للمشفى... (نوال، 2025: 19)

تُقدَّم شخصية آدم بوصفها نموذجًا مركزيًا لرجولة متأرجحة بين الحماية والهيمنة، وبين الرغبة في الإنقاذ والخوف من الفقد. فهو لا يظهر منذ البداية بوصفه بطلًا أخلاقيًا مكتملًا، بل كذات تشكّلت هويتها عبر جروح مبكرة، الأمر الذي ينعكس مباشرة على علاقته بالمرأة، وبالسلطة، وبالحب.

كذلك، ردّ فعل آدم عند سماعه بمحاولة قتل أخته يكشف عن انتقال فوري إلى منطق الانتقام: "لن أتركهم••• سأنتقم". هذا الخطاب يعكس انفعالا إنسانيًا مشروعًا من حيث الغضب، لكنه يتجاوز حدّ العدل المنضبط إلى نزعة انتقامية. في التصور الإسلامي، يُقرّ حقّ ردّ الاعتداء، لكن ضمن حدود العدل: "فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ" (البقرة: 194). غير أن النص القرآني نفسه يفتح أفقًا أرقى: "وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ" (النحل: 126). وبذلك، يُظهر النص السردي توترًا بين ردّ الفعل الغريزي – الانتقام – والمطلب الأخلاقي – العدل المقيد بالصبر.

5.3 سالي بين الصمت والانتقال إلى الفعل

في المشفى استيقظت سالي من نومها... اخذت ورقة وقلم وكتبت شيئا لرغد و تركته لها لأنها تعلم مسبقا أن اليوم يوم خروجها... جاءت ليلى و سليم ليأخذوها...

سليم يلمس على كتف سالي و هي تشعر بالقرف من قرب هذا الحيوان . . .تركها تتمشى لوحدها وذهب مسرعا لسيارته لينتظرها . . .كان آدم مثل مجنون يبحث عن أخته رغد . . .تعثرت سالي بآدم وسقطت أرضا . . .آدم لايعرف مالذى سيقوله فهو خائف على أخته . . .أأنت أعمى؟؟! نطقت بها سالي . . .قال بملل آسف . . .أفيقي يا فتاة هل أنت مجنونة . . . في غرفتها ليلا دخل سليم غرفتها و هو في مراحله الأخيرة من الغضب . . . ماذا تظنين نفسك ؟؟!! . . . ذهب في اتجاهها و جر الغطاء عليها بشدة و جرها من يدها لتسقط على الأرض . . . الآن بدأت تنازع و تنازع إلى أن امسكت بشيء وعلى حين غفلة ضربته على رأسه بتمثال صغير . . . . (نوال، 2025: 21-24)

تمثل كتابة سالي للرسالة في المستشفى نقطة تحوّل حاسمة في مسارها السردي. فبعد أن كانت ذاتًا مسحوقة بالصدمات، تنتقل إلى تسمية العنف، وطلب النجدة، والمطالبة بالحماية القانونية. ويتوافق هذا التحول مع ما تسميه Caruth (1996) ببدايات التعافي عبر السرد؛ إذ يصبح الكلام عن الصدمة خطوة الأولى لاستعادة الذات. كما أن ضرب سالي لسليم ليس فعلًا انتقاميًا بقدر ما هو فعل دفاعي رمزي يكسر احتكار العنف الذكوري داخل النص.

عودة آدم من الخارج ليست عودة حنين فقط، بل عودة قسرية فرضها العنف. إن الرواية تقدّم آدم بوصفه رأسمالي اقتصادي وقوة تنظيمية ورمزا للسلطة المضادة. لكن اللافت اجتماعيًا أن دافعه ليس الهيمنة، بل الواجب العائلي (حماية رغد). هذا يضعه في موقع "السلطة الأخلاقية" لا "السلطة القمعية". لا يمكن فهم سلوك آدم دون العودة إلى جرحه

المؤسِّس: فقدان الوالدين، والخيانة الرمزية التي تعرض لها حين تم استغلال ضعفه وطفولته. هذه الصدمة المبكرة تُنتج ما يمكن تسميته بـ الذكورة القلقة؛ ذكورة تبحث عن السيطرة بوصفها تعويضًا عن العجز القديم.

اجتماعيًا، تعكس هذه الشخصية نمطًا شائعًا في المجتمعات التي تربط الرجولة بالقوة، لا بالوعي الذاتي. أما إسلاميًا، فإن هذا النمط يتعارض مع مبدأ "القوة المقترنة بالأمانة"، حيث لا تُمدح القوة إن لم تكن منضبطة بالقيم. يظهر آدم في الرواية كمن يخشى تكرار الفقد، ولذلك يتشبث بمن يحب، لكنه يفعل ذلك دون وعي كافٍ بحدود الآخر، فيقع في فخ الإسقاط: إذ يُسقط خيانات الماضي على الحاضر، ويُعيد تمثيل الصدمة بدل تجاوزها. تُظهر الرواية بذلك أن النية الحسنة لا تعفي من الخطأ الأخلاقي، وأن الحماية إذا لم تُضبط بالقيم تتحول إلى شكل ناعم من أشكال العنف. كما أن ضرب سالي لسليم ليس فعلًا انتقاميًا بقدر ما هو فعل دفاعي رمزي، يكسر احتكار العنف الذكوري داخل النص، ويؤسس لإمكانية المقاومة.

قيام سالي بضرب سليم دفاعًا عن نفسها يُفهم في إطار دفع الاعتداء، وهو مبدأ معتبر شرعًا: "فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ" (البقرة: 194). وعليه، فإن فعل سالي لا يُعدّ خروجًا عن الأخلاق، بل استعادة لحقها في الحماية بعد سلبه.

5.4 اللقاء الأول بين آدم وسالي والعنف الرمزي

إن كتابة سالي للرسالة تُعد لحظة مفصلية في تطور شخصيتها من ضحية صامتة إلى ذات تطلب النجدة وإلى فاعلة اجتماعيًا:

في المشفى بعد أن اصطدم آدم بسالي تجاهلها و ذهب مباشرة لأخته رغد وجدها تبكي . . . هل تحبني يا

ادم؟... يا رغد أكيد أعشقه. اذا فلتساعد الفتاة التي انقذت حياتي... اخذ سيف الورقة منها و اعطاها لآدم. ″مرحبا يا غريبة ارجوك اتمنى ان تساعديني فأنا في مأزق كبير زوجي يضربني كل يوم و هو السبب في اني هنا لا تظني اني ساعدتكي لهذا السبب ساعدتك لأني انسانة هذا هو عنوان البيت ارجوك ان تفعلي شيء اتصلي بالشرطة″ (نوال، 2025: 24-25)

اصطدام آدم بسالي في المستشفى، ثم إساءته لها لاحقًا داخل القصر، لا يُعد تفصيلا عابرًا، بل يؤسس لعلاقة قائمة على سوء الفهم وإعادة إنتاج غير مقصودة للعنف الرمزي. فآدم، رغم موقعه كمنقذ محتمل، ما يزال يتحرك داخل منظومة لا ترى المرأة فورًا، وتُخضعها لمنطق الشبهة والتصنيف الطبقي.

وطلب الاتصال بالشرطة استعادة لحق قانوني حُرمَت منه طويلًا. وهذا ما تسميه النظريات الاجتماعية Reclaiming Agency after Trauma. كذالك، أن علاقة رغد بسالي قامت على الاعتراف بالألم مع الإحساس المشترك بالهشاشة والرغبة في الإنقاذ. وهذا يضع الرواية ضمن سرديات Female Solidarity under Patriarchy حيث النساء لا ينافسن بعضهن، بل يشكّلن شبكة نجاة. هذا التضامن النسوي غير المباشر يُعد من أقوى آليات المقاومة في الرواية، حيث تتحوّل النساء من ذوات معزولات إلى شبكة دعم. ويتماهى هذا الطرح مع مفاهيم النسوية الاجتماعية التي ترى أن الخلاص الفردي مستحيل دون وعي جماعي (Shook, 2000).

... دخلت سالي مع سيف للقصر فوجدا رغد تنتظرهم في الصالون على كرسيها المتحرك فرحت كثيرا عندما رأتها... لقد جهزت غرفتك سآخذك اليها... انتبهت

للمطبخ وشعرت بجوع شديد، ذهبت مباشرة... رجع ادم لقصره... وجد فتاة توليه ظهره تضع جبيرة وشعرها الأسود ينسدل على ظهرها أمسكها من يدها بعنف فأسقطت كل أكلها... تاهت سالي في معالمه الصارمة... لم أعلم انك سارقة و لقيطة شوارع. نظرت له بصدمة... اذا بما تفسرين اصطدامك بي في المشفى و اليوم اجدك ببيتي و تسرقين الأكل... خرجت باتجاه غرفتها و الدموع تجمعت في عينيها... (نوال، 2025: 28-32)

يمثّل انتقال سالي إلى قصر آدم تحوّلًا مكانيًا حاسمًا، لكنه ليس تحوّلًا نفسيًا مكافئًا. فالنص لا ينتقل من العنف إلى الأمان بصورة مباشرة، بل يعيد إنتاج منطق القهر في صيغة رمزية جديدة. وهنا يتجلّى وعي الرواية بأن الخلاص من العنف المادي لا يعني بالضرورة الخلاص من أنماط الإذلال الاجتماعي أو سوء التأويل الطبقي. فالقصر، بوصفه فضاءً فخمًا، لا يُقدَّم كملاذ آمن مطلق، بل كحيّز تتقاطع فيه السلطة، والطبقة، وسوء الظن، بما يعيد إنتاج العنف ولكن بلغة أخرى أقل مباشرة.

يشكّل اللقاء الأول بين سالي وآدم نموذجًا مكثفًا لما يسميه بيير بورديو العنف الرمزي (Bourdieu, 2001)، حيث لا يُمارس القهر عبر الضرب، بل عبر اللغة المهينة، الشك الأخلاقي، والتصنيف الطبقي القاسي. وصف آدم لسالي بأنها ″سارقة″ و″لقيطة شوارع″ لا ينبع من معرفة، بل من منظومة تصنيف اجتماعي جاهزة ترى المرأة المكسورة بوصفها موضع شبهة لا موضع حماية. فآدم لا يرى سالي بوصفها ناجية من العنف، بل بوصفها تهديدًا محتملًا لنظامه الخاص. وهنا تُمارَس السلطة عبر النظرة، لا عبر الفعل، وهو ما يجعل الإهانة أكثر عمقًا؛ لأنها تنزع عن الضحية حقها في تعريف ذاتها. اتهام سالي بأنها ″لقيطة شوارع″ لا يمثل مجرد

انفعال لحظي، بل هو انتهاك لحرمة الإنسان، إذ تختزل المرأة في جسد وعلاقة، وتُلغى إنسانيتها وتاريخ ألمها. هذا الخطاب يعكس ثقافة اجتماعية تُعيد إنتاج العنف عبر اللغة، وهو ما يجعل الإيذاء اللفظي مساويًا في أثره للضرب الجسدي.

وفي المنظور الإسلامي، اتهام آدم لسالي بأنها "سارقة" و"لقيطة شوارع" يمثّل انتهاكًا صريحًا لكرامة الإنسان، وهو ما يتعارض مع قوله تعالى: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ" (الإسراء: 70). كما يندرج هذا السلوك ضمن الأذى اللفظي المنهي عنه: "يا أيّها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم... ولا تنابزوا بالألقاب" (الحجرات: 11). فالنص يكشف كيف يمكن للسلطة الطبقية أو الشعور بالتفوق أن يتحول إلى إهانة أخلاقية تُجرّد الآخر من إنسانيته.

ردّ فعل سالي ليس صراخًا ولا تبريرًا طويلًا، بل انسحاب صامت مكسور. وهذا السلوك لا يدل على ضعف الشخصية، بل على ما تصفه دراسات الصدمة بـ freeze response (Herman, 1992)، حيث يتوقف الجسد عن المقاومة، وتنسحب الذات حفاظًا على ما تبقّى من الكرامة. إن بكاء سالي الصامت وانسحابها السريع من المشهد يعكسان اقتصادًا داخليًا للألم؛ فهي لم تعد تحتمل معركة جديدة لإثبات براءتها، بعد أن أنهكها العنف الجسدي والنفسي السابق.

> في الصباح... خرجت من الغرفة... أوقفها صوته القوي – إلى أين؟ تجمدت مكانها لوهلة و أدارت جسمها بالعرض البطيء. تلاقت نظراتهم لمرة ثانية عقد ادم حاجبيه و قال انت مرة اخرى يبدو أنك مصيبة وأمسكها من معصمها و هو عازم على أن يخرجها من قصره، نفضت يدها بقوة و هي تصرخ في وجهه... لكن سمع اخته تصرخ سالي مالذي تقولينه هل ستذهبين حقا.؟؟

> قاطعها آدم ماذا؟؟ هل انتي الفتاة التي... ردت رغد نعم هي يا ادم نظر آدم لها بصدمة... اقترب منهن يريد ان يعتذر... لم أكن أعلم يمكنكي ان تبقي... (نوال، 2025: 33-34)

مشهد اقتحام آدم لغرفة سالي، وجرّها بعنف، ثم طردها من القصر، يمثل ذروة انفجار الغضب الذكوري حين يفقد كل ضوابطه الأخلاقية. الغضب هنا ليس انفعالا عابرًا، بل بنية سلطوية تستدعي الإهانة والتجريد من الإنسانية. يُصوّر النص الغضب بوصفه حالة "عمى أخلاقي"، حيث يفقد آدم قدرته على التمييز بين الذنب والبراءة، ويتحوّل الحب ذاته إلى ذريعة للعقاب. ويتوافق هذا التصوير مع طرح نوسباوم التي ترى أن الغضب، حين يقترن بالشعور بالاستحقاق، يصبح تبريرًا للانتقام لا للعدالة (Nussbaum, 2016).

طرد سالي من القصر لا يمثل فقط خروجًا مكانيًا، بل نفيًا وجوديًا يعيدها قسرًا إلى فضاء العنف الأول (بيت سليم). وهنا تتجلّى مأساة الضحية التي تُعاقَب مرتين: مرة على الجريمة الأصلية، ومرة على الاشتباه. وفق هيرمان، فإن إعادة الضحية إلى موقع السيطرة السابق تمثل أحد أخطر أشكال إعادة الصدمة (Herman, 1992). ويُظهر النص بوضوح كيف يصبح غياب "الملاذ الآمن" سببًا في انهيار الذات.

فالعلاقة بين سالي وآدم تبدأ من الخلل الأخلاقي لا من الانجذاب، وهو ما يمنح الرواية صدقية اجتماعية، ويُبعدها عن الرومانسية السطحية. تلعب رغد دورًا محوريًا في تفكيك المشهد؛ فهي التي تكشف حقيقة سالي، وتُجبر آدم على مراجعة موقفه، وتعيد تعريف العلاقة من صراع إلى مساءلة أخلاقية. بنى آدم حكمه على سالي دون تحقق، وهو ما يتعارض مع مبدأ التثبّت كما يتقاطع مع النهي عن سوء الظن: "اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ

الظَّنِّ" (الحجرات: 12) . وهذا يكشف أن الخلل في النص ليس سلوكيًا فقط، بل معرفي أخلاقي؛ إذ إن الحكم غير المؤسس يقود إلى الظلم.

وجود رغد هنا يتجاوز دور "الأخت" إلى دور الضمير الاجتماعي داخل النص. فإعاقتها الجسدية لا تمنعها من امتلاك سلطة أخلاقية أعلى من سلطة أخيها. وهذا ينسجم مع أطروحات نوسباوم (Nussbaum, 2006) حول أولوية الكرامة الأخلاقية على القوة الجسدية أو الاقتصادية. كذالك، محاولة آدم الاعتذار لا تأتي من وعي ذاتي خالص، بل من صدمة معرفية: اكتشاف أن الفتاة التي أهينت هي نفسها من أنقذت أخته. اعتذار آدم وتحوّله التدريجي من الإهانة إلى الرعاية يعكس قيمة التوبة والرجوع إلى الحق: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ" (البقرة: 222). وهذا يكشف أن تحوّل آدم ليس لحظة تطهير أخلاقي كاملة، بل بداية تصدّع داخلي في بنية ذكورته السلطوية. ومع ذلك، فإن قبول سالي بالبقاء لا يعني التسامح، بل هو قرار عملي مشروط، يؤكد أن الضحية هنا لا تتنازل عن كرامتها، بل تؤجّل المواجهة.

> خرج آدم مع سالي و اتجهو ناحية السيارة... طول الوقت كانت تلتزم الصمت الى ان سمعته يقول لقد وصلنا. نزلت معه للمول واشترت الكثير من الملابس و تذكرت أنها ليس لديها المال حزنت لأنها سترجعهم و تأخذ قطعة او قطعتين... أمر الفتاة صاحبة المحل بأن تأخذ كل الملابس و تضعها في كيس و دفع ثمنها و خرج يبحث عنها... بعد أن أعطت سالي القطعتين لكي يدفع ادم ثمنهما خرجت لتنتظره امام باب المحل و اذا برجال يحاولون أن يدخلوها في السيارة و هي تصرخ بقوة آدم ... ساعدني... سمع آدم صراخا في الخارج ترك الأكياس و ذهب ناحية الصوت فرآها... ذهب

> ركضا نحوها و ضرب الرجال بكل قوة... واخذها لسيارته ورجع للأكياس مرة اخرى و انطلق باتجاه مكان ما... اوقف سيارته امام شاطئ البحر على جبل شاهق الإرتفاع خرج من سيارته... هل تريدين أن تتكلمي ؟؟ نظرت له سالي في صمت تتفحص ملامحه لما أنت هكذا لما انت قاسي و لكن ليس هناك أطيب من قلبك، لما تسألني ماذا بي؟ لما و لما ، لا تجعلني احبك أيها المتكبر... (نوال، 2025: 37-39)

سلوك آدم في البداية يتسم بالغضب والانفعال، وهو ما يخالف التوجيه النبوي: "ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" (متفق عليه) . لكن تحوّله لاحقًا نحو الهدوء والرعاية يشير إلى إعادة تهذيب الذات وفق المعايير الأخلاقية.

تمثّل محاولة اختطاف سالي لحظة مركزية في السرد، إذ تُعيد تنشيط الصدمة السابقة في شكل ذاكرة جسدية فورية. تصرخ سالي لا بوصفها ضحية جديدة فحسب، بل بوصفها جسدًا مثقلاً بتاريخ من الاعتداء، وهو ما يؤكد ما تشير إليه دراسات الصدمة من أن الجسد "يتذكر" حتى حين يحاول العقل النسيان (Van der Kolk, 2014) . تتعرّض سالي هنا لانتهاك مزدوج للستر: انتهاك جسدي مباشر عبر محاولة الاختطاف، وانتهاك رمزي حين تُعامل بوصفها جسدًا متاحًا للاتهام والاشتباه (السرقة، التسوّل، الاستغلال) .

يبدو فضاء المول التجاري ظاهريًا محايدًا وآمنًا ، لكنه يتحوّل سريعًا إلى ساحة تهديد جسدي تكشف هشاشة الأمان الاجتماعي للمرأة، حتى داخل فضاءات الحداثة الاستهلاكية. فالمول هنا لا يُمثِّل الحرية أو الرفاه، بل يؤكد أن العنف الذكوري قادر على التسلل إلى أكثر الأمكنة "تمدنًا"، وهو ما ينسجم مع أطروحات علم الاجتماع النسوي حول الطابع البنيوي للعنف

ضد النساء (Connell, 2005). رفض سالي شراء الملابس رغم حاجتها الواضحة إليها لا يُقرأ بوصفه خجلًا بسيطًا، بل باعتباره استراتيجية دفاعية أخلاقية. فهي ترفض أن تتحول إلى جسد مستهلك يُعاد تشكيله بمال رجل لم تُحسَم بعد علاقتها الأخلاقية به. هذا السلوك يعبّر عن مقاومة صامتة لمنطق الإحسان القسري، حيث تتحول المساعدة إلى أداة هيمنة (Mauss, 0 199).

إقدام آدم لاحقًا على شراء الملابس سرًا يعكس ازدواجية موقعه. فهو من جهة يمارس سلطة اقتصادية أبوية، ومن جهة أخرى يحاول التعويض عن قسوته السابقة. غير أن هذا "الكرم" يظل فعلًا أحادي الجانب، لا ينبع من حوار أو اتفاق، بل من قرار سلطوي مستتر. يكشف ردّ فعل آدم العنيف تجاه المعتدين تحوّلًا مهمًا في موقعه داخل السرد. فالعنف هنا لا يُمارس بوصفه هيمنة، بل بوصفه حماية مفرطة تكاد تنزلق إلى التدمير. ويعكس هذا النمط من "العنف الحمائي" ما تصفه التحليلات النفسية بالانتقال من السيطرة إلى التعويض، حيث يحاول الفرد إصلاح خطيئته السابقة عبر الإفراط في الفعل المضاد. فآدم، رغم كونه صاحب سلطة، أخفق سابقًا في ممارسة الستر الأخلاقي حين انخرط في خطاب الإهانة والتجريد، غير أن تحوّله اللاحق إلى الحماية العنيفة يعكس محاولة متأخرة لاستعادة هذه الوظيفة الأخلاقية.

توقّف آدم عند البحر لا يؤدي وظيفة رومانسية مباشرة، بل يعمل بوصفه فضاءً تأمليًا علاجيًا. الطبيعة هنا تتيح لسالي استعادة أنفاسها، لكنها في الوقت نفسه تكشف صراعها الداخلي بين الرغبة في القرب والخوف من التعلّق. فصمتها لا يُقرأ رفضًا لآدم، بل مقاومة للانزلاق العاطفي قبل اكتمال الأمان النفسي، وهو ما ينسجم مع مفهوم التعلّق المتجنّب القَلِق لدى الذوات المجروحة (Bowlby, 1988).

> . . . ارجوك خذني لبيت ابي اشتقت لهم . . . هل تعرفين العنوان؟؟ اشارة برأسها و هي تشهق بمرارة، جذبها من يدها و اتجهوا ناحية السيارة، ثم أخذها للعنوان، وكسر الباب لتتمكن من الدخول . . . دخلت كأنها خائفة من ذكرى ذلك اليوم الأليم . . . هنا يا آدم . . هنا قتل ابي . . . لقد قتله . . . وو أمي ايضا . . . امي ماتت هنا يا آدم . . . انظر لازلت أرى الدماء . . . على الأرض . . .استكانت سالي بطريقة مفاجئة حركها فعلم أنها فقدت وعيها . . .فحملها مباشرو للمسغى . . . في المشفى . . ظل آدم جالس و يهز رجله في توتر كبير، خائف من فقدانها . . . يا سالي لا أعلم لما أثرتي علي بهذه الطريقه لما قلبي يدق خوفا عليكي لماذا أخاف على فقدانك لم تؤثر فيا فتاة من قبل كما فعلت انتي . . . . ظل يتحدث الى أن نام على يدها دون ان يشعر . . . (نوال، 2025: 48-53)

تُفجّر عودة سالي إلى بيت والديها الذاكرة الصدمية على نحوٍ مباشر، ويغدو المكان ذاته حاملًا للعنف. فالبيت، الذي يُفترض أن يكون رمز السكن والأمان، يتحوّل إلى فضاء للانهيار. ويتقاطع هذا المشهد مع طرح كاثي كاروت حول إعادة تمثيل الألم عند العودة إلى موقع الحدث الصدمي (Caruth, 1996) . في المشفى، يبدأ تحوّل آدم من موقع السيطرة إلى موقع الرعاية الصامتة. جلوسه بجانبها، خوفه من فقدانها، ونومه قرب يدها، كلها أفعال تعيد تعريف الرجولة بوصفها رحمة وخدمة وحضورًا بلا شروط. ومع ذلك، يحافظ النص على توتر أخلاقي مهم؛ فالحب لا يبرر الوصاية، ولا يجيز اقتحام أسرار الألم دون استعداد الطرف الآخر. لذلك، يحترم آدم صمتها حين ترفض الحديث عن ماضيها. من هذه النقطة تبدأ

سالي بالانتقال من هوية الضحية الصامتة إلى هوية الشاهدة، وهو تحوّل حاسم في مسار التعافي.

بعد أن تعافت سالي عرفت أن سيف أخوها فرحت كثيرا وشعرت بالدفئ الذي افتقدته منذ زمن... اقترب ادم ببطئ كأنك لم تلاحظي غيابي عن الحفل... انا اسف اذا لم تسامحيني... ثم انحنى على ركبتيه... هل تقبلين الزواج بي ؟؟؟... فرحت سالي بشدة ثم هزت رأسها بنعم (نوال، 2025: 81-86).

نهاية العلاقة – عرض الزواج بعد الاعتراف – لا تقدّم كحل رومانسي سطحي، بل كاختيار قائم على الرضا والمسؤولية، وهو ما يتسق مع قوله تعالى: ″ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها″ (الروم: 21) . فالزواج هنا يتحول من أداة قهر (مع سليم) إلى علاقة سكن ومودّة قائمة على الاختيار.

تقدّم العودة النهائية بين آدم وسالي تجربة عاطفية تصحيحية (Corrective Emotional Experience). فآدم لا يفرض، ولا يبرر، ولا يستغل ضعفها، بل يعترف، وينتظر، ويعرض ذاته للمغادرة. أما قبول سالي فلا يلغي الذاكرة، بل يؤكد أن التعافي لا يعني النسيان، وإنما اختيار العلاقة دون إنكار الماضي.

يوضح الرسم البياني أدناه خلاصة النتائج.

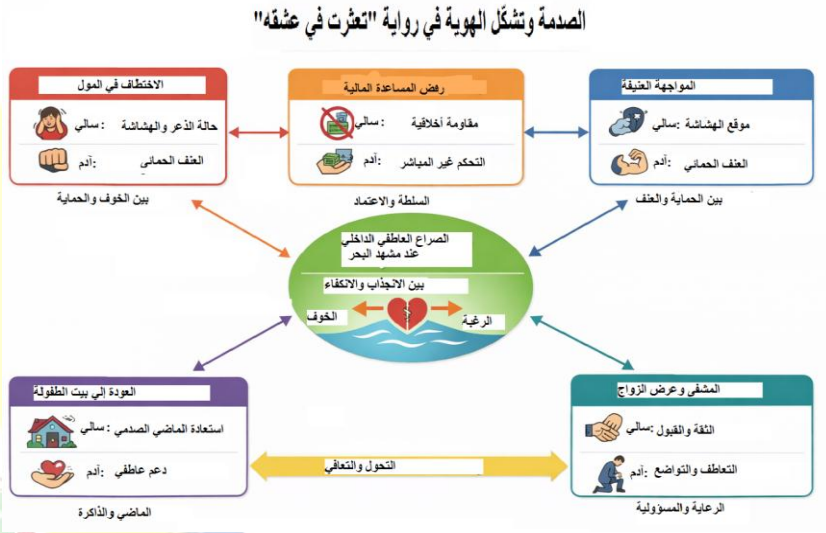

الخاتمة

تُظهر رواية تعثرت في عشقه أن الهوية لا تُمنح جاهزة، بل تُصاغ عبر الألم، وأن الصدمة، مهما بلغت قسوتها، يمكن أن تتحول من قوة هدم إلى أفق لإعادة البناء، متى ما اقترنت بالوعي، والاختيار الأخلاقي، والعلاقة الإنسانية الآمنة. وأن النص السردي لا يقدّم الصدمة بوصفها حدثًا عابرًا في مسار الشخصيات، بل باعتبارها بنية مهيمنة تُعيد تشكيل الهوية الفردية والعلاقات الاجتماعية على المستويين النفسي والأخلاقي. فقد كشفت القراءة التحليلية أن الصدمة التأسيسية، حين تقع في الطفولة، لا تتوقف آثارها عند حدود الذاكرة، بل تمتد لتؤسس أنماطًا من السلوك الدفاعي، والسيطرة، وسوء الفهم العاطفي، كما تجلّى في شخصية آدم، وفي مسارات سالي وسليم على نحوٍ مختلف.

وأظهر المقال أن الهوية في هذا النص ليست معطًى ثابتًا، بل بناءً هشًا يتأرجح بين التفكك وإعادة التشكّل، تبعًا لطريقة التعامل مع الجرح

الأصلي. فبينما قادت الصدمة غير المعالجة إلى إعادة إنتاج العنف والهيمنة عند بعض الشخصيات، أمكن تحويلها عند شخصيات أخرى إلى منطلق لإعادة بناء الذات أخلاقيًا، عبر الاعتراف، وتحمل المسؤولية، وقطع دائرة التكرار القهري.

وفي هذا السياق، لا يُقدَّم الحب في خاتمة النص كحلّ رومانسي اختزالي، بل كتجربة تصحيحية مشروطة بالوعي والمساءلة، حيث لا يُلغى الألم ولا تُمحى الذاكرة، وإنما يُعاد إدراجها ضمن علاقة أكثر أمانًا وإنسانية. وبذلك، يثبت النص أن التعافي الحقيقي لا يتحقق عبر النسيان، بل عبر إعادة سرد الذات على نحوٍ يدمج الصدمة داخل هوية قادرة على الاختيار.

وعليه، يساهم هذا المقال في توسيع أفق دراسات الصدمة في السرد العربي المعاصر، من خلال الربط بين التحليل النفسي، وبناء الهوية، مؤكدًا أن الأدب يظل فضاءً خصبًا لفهم الإنسان في لحظات انكساره وإمكان نهوضه.

المراجع

القرآن الكريم

الغذامي، عبد الله. (2005). النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية. المركز الثقافي العربي.

العيد، يمنى. (2003). في معرفة النص: دراسات في النقد الأدبي. دار الآداب.

المرنيسي، فاطمة. (1994). الحريم السياسي: النبي والنساء. دار الحصاد.

المودن، حسن. (2010). الجسد والسلطة في الرواية العربية. أفريقيا الشرق.

حافظ، صبري. (2001). تحولات الرواية العربية المعاصرة. دار الآداب.

نوال نعيم (2025). تعثّرتُ في عشقه. كتوباتي

Al-Bukhari, M. I. (1997). *Sahih al-Bukhari* (M. M. Khan, Trans.; Vol. 3). Darussalam. (Original work published c. 846).

Al-Tirmidhi, M. I. (2007). *English translation of Jami' At-Tirmidhi* (A. Khaliyl, Trans.; Vol. 3). Darussalam. (Original work published c. 884).

Bauman, Z. (2000). *Liquid modernity*. Polity Press. UK. ISBN 978-0-7456-2409-9

Bisiriyu, M.O and Akewula, A.O. (2025). Uncovering the depth of trauma: A Freudian analysis of *Al-fil Al-azraq* by Ahmad Mourad. *Abuja International Journal of Arabic*.1(1), pp. 291-311.

Ondo Journal of Arts, Faculty of Arts, Adeyemi Federal University of Education, Ondo. Vol. 2. No.1&2, 2026 | عشقه" في "تعثّرتُ رواية في الهوية وتشكّل الصدمة Trauma and the Formation of Identity The Novel "I Stumbled into His Love"

Bisiriyu, M.O. (2026) *Tamthilatu Sadama wa shifahi nafsi fi riwayati "Fi hidnil gurabahi" Tasambo Journal of Language and Literature.* 5(2), pp. 206-222.

Bourdieu, P. (2001). *Masculine Domination*. (R. Nice, Trans.). Stanford University Press.

Bowlby, J. (1988). *A secure base: Parent-child attachment and healthy human development*. Basic Books.

Caruth, C. (1996). *Unclaimed experience: Trauma, narrative, and history*. John Hopkins University Press

Connell, R.W. (2005). *Masculinities* (2nd ed.). University of California Press

Herman, J.L. (1992). *Trauma and recovery: The aftermath of violence – from domestic abuse to political terror*. Basic Books.

Hooks, B. (2000). *Feminism is for everybody*. South End Press

Mauss, M. (1990). *The gift: The form and reason for exchange in archaic societies*. Routledge.

Nussbaum, M.C. (2006). *Frontier of justice: Disability, nationality, species membership*. Harvard University Press.

Nussbaum, M.C. (2016). *Anger and forgiveness: Resentment, generosity, justice*. Oxford University Press.

Oladosu, A.A (2009). *Ar-Rujullah*: Male and Masculinities in Modern Sudanese Narrative Discourse. *Hawwah*, 7(3), 249-270. https://doi.org/10.1163/156920809X476059

Van der Kolk, B. (2014). *The body keeps the score: Brain, mind, and body in the healing of trauma.* Viking